تحية وتقدير...

الأستاذ حسن بن أحمد السوسيّ

من فحول الشعر الليبي

بقلم

الحسين بن حيدر محبوب الهاشمي

2007

مدخل

كنتُ أنشد هذه القصائد في ندوة الشاعر الكبير الأستاذ حسن بن مصطفى الصيرفي (المتوفى عام 2008م) ؛ ولم يكن القوم قد سمعوا بالشاعر الليبي الكبير ؛ والقومي الأستاذ حسن السوسي ؛ وكنتُ أنشدها بفخر ؛ وكانت الآذان مصغية ..

سألني القوم . من هو حسن السوسي ؟

فقلت لهم : شاعر ؛ ليبي ؛ مخضرم ؛ لا يزال الآن حيَّاً ؛ لم ينل من الشهرة المقام الذي يستحقه لأنه شاعر حرٌّ ؛ ومتواضع ؛ لا يتكسب بشعر .

وبعد مجالس عديدة حكم الأستاذ حسن الصيرفي - وهو الشاعر المدني المرموق - أنَّ حسن السوسي شاعرٌ بحق ؛ ومن أعظم شعراء العصر .

**

جمعت هذه القصائد من صديق الشاعر وكاتبه السيد مالك بن العربي السنوسي ؛ بعضها كانت مدونات بخط الشاعر نفسه ؛ وبعضها كانت محفوظات لديه أملاها علي شفاهةً ؛ وكان قد كتب له ديواناً كبيراً بخط يده استعاره منه فلان حينما كان في ليبيا ولم يعده إليه .

الأستاذ حسن بن أحمد السوسي المتوفى عام□□□□م

المولد والنشأة

شاعر ليبي مخضرم ؛ ولد عام 1924م في الكفرة من القطر الليبي ؛ وذلك إبان الاحتلال الإيطالي البغيض.

ثم هاجرت أسرته إلى مصر لما اشتدت وطأة الاحتلال على الشعب الليبي وتمكنوا من احتلال الكفرة مسقط رأسه وذلك في حوالي عام 1929م ؛ فترعرع في مرسى مطروح في القطر المصري ، وتأثر كثيراً بالمجتمع المصري ؛ وكان كثير من اللاجئين الليبيين قد نزلوا مرسى مطروح ؛ كبعض أفراد السنوسيين ؛ الذين اتصل بهم وكانت بينه وبينهم ألفة ومودة .

فتلقى تعليمه الأولي في مصر ؛ وحفظ القرآن ؛ وتأثر بالفكر السنوسي ؛ وترقى حتى حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية عام 1944م ؛ وتنقل بعدها في بعض البلدان العربية ؛ كلبنان وتونس ، فاكتسب الكثير من المعرفة ؛ وصقلت موهبته الشعرية ؛ ولعل الحنين إلى الوطن ؛ مع ما ألحقه المحتل الغاشم ببلاده وشعبه كل ذلك أثر فيه ؛ في نفسيته وشاعريته ؛و نشأ الشاعر عفيفاً ؛ متواضعاً طوال حياته .

ثم عاد إلى بلاده عام 1944م ؛ وعمل مدرساً للغة العربية ؛ حتى صار مفتشاً لمواد اللغة العربية في وزارة التعليم الليبي حتى أحيل إلى التقاعد عام 1988م .

إبداعه الشعري

عايش السوسي كما قلنا ظروف الحرب التي مرّت بها ليبيا ؛ وكان المهجر قد أكسبه الشجاعة ؛ وقول الصدق ؛ والرقة ؛ والرأفة ؛ وجودة الشعر ؛ وسعة في الخيال .. فكانت عاطفته الشعرية بعدُ صادقة ؛ غير متكسبة متملقة ؛ ولا كاذبة لا روح فيها ؛ فكان شعره يحكي وجدانه ؛ ويصور عاطفته ؛ فكان الشعر هو الذي يأتيه كلما حانت المناسبة ؛ ولم يكن هو الذي يأتي الشعر متكلفاً بلا عاطفة .. فقال الشعري الاجتماعي ؛ والشعر السياسي ؛ والشعر الحماسي ؛ وكان له في الغزل باع ؛ وكان ظريفاً في كثير من قصائده ؛ كل هذا مع إبداع في الخيال ؛ وابتكار في المعاني ؛ وقوة في التعبير ؛ كما كان جزل العبارة ؛ واضح الإشارة ؛ تجذب موسيقا شعره النفوس على غير إرادة ؛ كما تبهرها تلك المتانة والقوة والرصانة ؛ مع ما تحمل في طياتها من روح تحث على الفضيلة ؛ وما في خلف أسطرها من نبذ الرذيلة ؛ وهو عان مع الأمة آلامها ؛ وعايش معها قضاياها ؛ فلم تعزب عنه قضية فلسطين على سبيل المثال.

وامتاز شعره بالبساطة ؛ فهو خالي من التعقيد في اللفظ وفي المعنى ؛ فالرجل البسيط يقرأ شعره فيفهمه ويتفاعل معه ؛ والأديب الأريب يقرأ شعره فيجد نفسه محتاراً على بساطته أمام تلك الفصاحة والجزالة وتلك الفكرة ؛ وذلك الخيال المبدع. حتى أصبح من أشهر شعراء ليبيا في عهد الملكية السنوسية ؛ قال في

الشعر الأصيل (القديم/الكلاسيكي) ؛ كما استطاع وبشاعرية مبهرة وعجيبة أن يقول الشعر الحداثي ؛ فأبدع في كلا المجالين وتفنَّن . وكان يكتب شعره بنفسه ؛ وكتب له صديقه ورفيقه السيد مالك بن العربي بن أحمد الشريف السنوسي سفراً كبيراً في شعره ؛ وقال عنه : كان في بعض الأحيان يقوم من نومه ليدون بيتاً أو بيتين ؛ أو ليدون فكرة متخيلة لتكون أساساً لقصيدة يكتبها بعد .

ولم يلق شهرةً على الرغم من قوة شعره ومتانته ؛ والسبب في ذلك كما قلنا آنفاً انه لم يتكسب بشعره ؛ ولم يتملق لأحد ؛ وإنما كان شاعراً حراً ؛ عفيفاً ؛ قد وهبه الله الرضى والسكون؛ وما مدح أحداً من أرباب السياسة إلا عن عاطفة صادقة نابعة من وطنيته وقوميته ؛ فهو يقول الشعر لأنه شاعر .

*

واستمرت به الحياة حتى عايش دولة الثورة لأكثر من ثلاثين عاماً حتى توفي رحمه الله في يوم الأربعاء 21 من شهر نوفمبر 2007م في تونس ؛ ثم نقل إلى بنغازي ليدفن فيها يوم الخميس 22 من الشهر المذكور؛ وذلك عن 83 عاماً قضاها في الدعوة إلى الفضيلة .

آثاره :

ترك عدة دواوين مطبوعة ؛ وهي :

١. ديوان الركب التائه ؛ طبع عام 1963م
٢. ديوان ليالي الصيف ؛ طبع عام 1970م
٣. ديوان نماذج ؛ طبع عام 1981م
٤. ديوان نوافذ ؛ طبع عام 1987م ؛ وحصلت عليه مصوراً
٥. ديوان الفراشة ؛ طبع عام 1988م
٦. ديوان الزهرة والعصفور ؛ طبع عام 1992م
٧. ديوان الجسور ؛ طبع عام 1998م
٨. ديوان ألحان عربية ؛ طبع عام 1998م
٩. ديوان تقاسيم على أوتار مغاربية ؛ طبع عام 1998م
١٠. ويذكر أن له ديوان مخطوط بعنوان (كما أنا)

نـماذج من شعر السوسي

1

" البائسة "

قصيدة للشاعر الليبي المخضرم الأستاذ حسن السُّوسِيّ تعبر عن قصة واقعية لا من نسج الخيال ، فكم في هذا العالم من مآسي وشرور ، وكم فيه من أسرار .. إنها قصة فتاة تدعى زينب .. وهي من شعره الاجتماعي

زينب (البائسة)

طفولة :

فتاةٌ لم تَجُزْ عشرين عاما   يحُطُّ جمالُها البدر التماما
قضتْ سِنَّ الطفولة في نعيمٍ   وأيَّامَ الصِّبا الحلوِ ابتساما
يُظَلِّلها حنانُ أبٍ رحيمٍ   وأُمَّهَةٍ بها هامتْ هياما
فلما أنْ تبدى الحُسْنُ منها   وأَوْرَقَ عودُها و زكتْ قواما

شبابٌ :

غَدَتْ في الحيِّ فتنةَ كلَّ حَيٍّ   وصارتْ فيه فاكهةً حراما
تفتَّحَ حسنُها فسعى إليها   شبابُ الحيِّ ملهوفاً تَرَامى
يُمَنِّي كلُّ ذي حسبٍ وجاهٍ   بها النفسَ التي ذابتْ غراما

جشعٌ :

أبوها مولعُ بالمالِ جمعاً   يقدسُه وإنْ صلى وصاما
أتاه كم فتىً في بردتَيْه   يضمُّ فُتُوةً وهوىً لُهَاما
فأقسم لا تُزَفُّ لغيرِ حُرٍّ   تعاظمَ ثروةً ، وسمَا مقاما
وحدد مهرها إبلاً وشاءً   تصمُّ الحيَّ إنْ راحتْ بُغَاما

زواجٌ :

فَصكَّ حدِيثُها أَسمْاعَ شيخٍ   له في الحيِّ شأنٌ لا يُسامى
أخِي ستين أفنَتْهُ الليالي   ونالتْ منه .. فانهدم انهداما
لقد فطموه من حينٍ ولكنْ   عن الشهواتِ لم يبلغْ فطاما
لم يترك مرورُ الدهرِ منه   عَدَا جلداً تَجَعَّدَ أو عظاما
تَولَّى عهدُ نُضْرتِهِ .. وعهدٌ   به يستَلفتُ الغيرَ اهتماما
وَهَى.. فاستنجدَ الطِبَّ اعتقاداً   بأنَّ الطبَ قد يُحي العظاما
ففوقَ خُوانِه من كلِّ صِنْفٍ   قواريرٌ فرادى.. أو تُؤامى
حَوَتْ شَتَّى صنوفٍ من دواءٍ   وكلُّ زجاجةٍ خَصَّتْ سقاما
له من مالهِ النامي جوازٌ   يحللُ كل ما أمسى حراما
أتاهم خاطباً فتقبلوه   وزادوه وقاراً واحتراما
وزفُّوها إليه .. ولم يبالوا   معاتبةً .. ولا خافوا ملاما

معيشةٌ :

أقامتْ في رحابِ الشيخِ حيناً   فما حمدتْ بساحته المقاما
ولا طعِمَتْ لثروتِه نعيماً   ولا بلغتْ بصحبته المراما
وماذا ربَّةُ العشرين تلقى   لدى من جاوز الستين عاما؟
وكم فَرَّتْ إلى الأهلين تشكو   فما أولوا شكايتها اهتماما
إلى ميراثه قلبوا عيواناً   ترى دون غايتها ظلاما

فرارٌ :

رآها بعضهم فسعى إليها   وحلق حول مخبئها .. وحاما
ومَنَّى نفسه أن يحتويها   وإنْ هو جُرِّعَ الموتَ الزُّؤاما
ومَهَّدَتِ الطريقَ له عجوزٌ   أحالَ الدَّهرُ جمَّتها ثغاما
أتتها في ثيابِ النُصْحِ تنعي   شباباً قد ذوى حتى ترامى
ومازالت بها حتى اطمأنتْ   إلى لقياه شوقاً ، وانتقاما

فعاطاها الهوى كأساً بكأسٍ   وعاطتْه المنى جاماً .. فجاما
وأغراها بمعسولِ الأماني   فألقتْ بين كفيْه الزماما
والْفَتْ غِرَّةً فسعتْ إليه   تعاشره معاشرةً حراما

غدرٌ :

تنَعَّمَ في محاسنها زماناً   ورَوَّى من مفاتنها الأواما
ومرَّ عليه حين فاحتواها   وهام بغيرها أخرى غراما
فما حفظ الوفاءَ لها بعهدٍ   ولا راعى المواثق والذماما
وغادرها فَأُسقطَ في يديها   أتمضي خلفُ .. أم تمضي أماما؟

تشردٌ :

فسارتْ ليس تعرفُ أين تمضي   ولا أيَّان تختار المقاما
وراحت تذْرَعُ الطُرُقاتِ سعياً   وتُذري الدمعَ سَحًّا وانسجاما
وتلتحفُ السماءَ إذا أجَنَّتْ   وتتخذ الفراشَ لها ؛ الرُّغاما
إذا وجدت رغيفاً بعد كدٍّ   وجُهدٍ .. عَزَّ أن تجد الإداما
إلى أنْ صادفتْ "يوماً " عجوزاً   لها إبليسَ قد جعلتْ إماما
عجوزٌ نُشِّئَتْ في السُّوءِ حيناً   فلم تدرِ الوقارَ والاحتشاما
فراعَ الحَيْزَبُوْنَ لها جمالٌ   كفيلٌ أنْ يبلِّغها المراما
وبعد سماعِ قصَّتَها دعتْها   وقالتْ ؛ وهي تُظْهِرُ الاهتماما
هي الدنيا كمِرْآةٍ تُرِيْنَا   خيالَ الشيءِ منطبعاً تماما
إذا قَطَّبْتِ كان لها قُطُوْبٌ   وإن تتبسمي تُولي ابتساما
وكم من فُرْجَةٍ من بعدِ يأسٍ   أتتْ كالضوءِ يعْتَقِبُ الظلاما
فما لكِ والهُمُوْمَ ؟ فأنتِ مِنَّا   غدوتِ ، وهاهنا طيبي مقاما
فَلانَتْ بعد أنْ نَفرَتْ وَقَرَّتْ   لتكتب في روايتها الختاما

سقوطٌ :

مَرَرْتُ وصاحبي " يوماً " بحَيٍّ   على أبوابه شِمنَا زحاما
وقوماً قد قضوا وطراً وولوا   وقوماً بابه التزموا التزاما
تَجَمَّعَ فيه مَنْ شَبَّ و دَبَّ   نساءٌ يحترفنَّ خَنىً و ذاما
يَبِعْنَّ العِرْضَ مُبْتَذَلاً رخيصاً   لكي يبتعن بالثمن الطعاما
لِكُلِّ قِصةٍّ مِنْهُنَّ تُخْفِي   وراءَ سطورها خطباً جُسَاما

تطفلٌ :

رأيتُ صبيةً فيهنَّ أخْفَتْ   أسىً مُرَّاً ، وإنْ أرَتْ ابتساما
حباها الخالقُ الباري قواماً   رطيباً ، جلَّ مَنْ وهب القواما
ونَجْلاويْن زانَهُما ذبولٌ   وثغراً ضُمِّنَ الدُّرَّ التُّوَاما
ومثل سبائك العقيانِ شعراً   وأنفاً كالسُّرَيْجِيِّ استقاما
جمالٌ يَسْحَرُ للألبابِ حَقَّاً   ويجعلها تهيمُ به هياما
ولكن.. راعني منها وُجُوْمٌ   فما سِرُّ الوجومِ تُرَى ؟ علاما؟
وقفتُ ، فحدَّقْتُ ، فدنوتُ منها   فقامتْ للمُلِمِّ بها ، احتراما
ولما أن أشَرْتُ تقدمتْني   إلى ركنٍ به اتخذتْ مقاما
وغَلَّقتِ المنافذَ في أناةٍ   وحلَّتْ مئزراً ، ونَضَتْ حزاما
وقالتْ : هِيْتَ ، قلتُ : معاذ ربي   أبعد الشيب اقترفُ الحراما؟

ذهولٌ :

فخالجها لإحْجَامي ذهولٌ   وقالتْ " وهي تبدي الإحتشاما "..
إذنْ ماذا أتى بكَ ؟ قلتُ : إني   أريدُ حقيقةً تجلُو القتاما
رأيتُكِ في النساءِ ، ولستِ ممنْ   بهذا الحيِّ تختارُ المقاما
فمن أنت .. ؟ ومن أهلوكِ ؟ ماذا   رمى بك ؟ أيُّ خطْبٍ قد أضاما
فأجْهَشَتِ الصبيةُ ثُم أغضتْ   ومن طرفِ القناعِ لوت لثاما
وقالتْ : قِسْمَةٌ ! حظٌّ شَقَيٌّ   رمى بي .. ليته كان الحماما
وقَصَّتْ قصةً عجباً أحالتْ   ضياء الدارِ في عيني ظلاما

نهايةٌ :

ذهبتُ وفي الفؤادِ أسىً عميقٌ   وعُدْتُ ، وكنتُ قد أبطأتُ عاما
فلم ألْمَحْ لها في الدارِ وجهاً   ولم أسمع بدعوتها كلاما ..
سألتُ ، فقيل : عاجلها عُضالٌ   فَرَى أحشاءَها ، وبرى العظاما..
وفي عمرِ الزهورِ قضتْ وراحت   تبُثُ الحزن مَنْ بَرَأَ الأناما
وخَلَّتْ عالماً لم يحو مما   يشير بفعله إلاَّ الكلاما
خرجْتُ مطأطئاً أسفاً لأقضي   سحابةَ ذلك اليوم اغتماما
ولما أن تضمنني فراشِ   تسرَّب طيْفُها نحوي وحاما
وذكرني ببائسةٍ أطاحتْ   بها شهواتُ مَنْ جَنَوْا الأثاما

أبٍ أعماهُ حُبُّ المالِ حتى   رأى بيع البناتِ غدا لزاما
وبعْلٍ ملءِ حُلَّتِهِ غرورٌ   فلم يَرَ في تبذُّله ملاما
وخِلٍّ لا الشهامةُ فيه طبعٌ   ولا كان الكريمَ ولا الهماما
وذئبانٍ جياعٍ لا تبالي   ومجتمعٍ عن الحُسْنى تَعَامى
بحثتُ عن الرُّقادِ .. فلم يواتِ   وكيف ؟ وقد نَفَتْ عني المناما
فقمتُ اخطُّ قصتَها عظاتٍ   وأقرئ طَيْفَ زائرتي السلاما

2

ومن شعره الحماسي الوطني

تحية للملك محمد الخامس

تحية من الشاعر في قصيدته هذه إلى الملك محمد الخامس بن يوسف ملك المغرب على مغالبة الاحتلال الفرنسي في المغرب ؛ وكانت فرنسا قد نفته من المغرب ؛ ثم عاد وأعلن استقلال المغرب ؛ وهي قصيدة سمعناها من صديقه وكاتب أشعاره السيد مالك السنوسي.

عيدٌ وفي العيدِ العظات لمن وعى   عيدٌ وليس العيدُ لهواً ممتعا
وزجاجةٌ رقصتْ بما في قعرها   رقصَ القلوص براكبٍ قد أسرعا
ومليحة تسقك كوثر عبقها   عذباً ؛ وتثني بالشراب مشعشعا
كلا ولا ثوبٌ يروعك منظرا   أبداً ؛ ولا ظبياً يروعك أثلعا
لكن عيد الشرق يوم نراه قد   نفض الكرى عنه وعاف المضجعا
وجرى الغربي في ميدانه   واستلَّ من يده المفاخر اجمعا
وسَمَا وأرشدَ في الفضائل شورة   وأقام مدرسةً وشيَّدَ مصنعا
وبنا البوارج كالقلاع متينة   تعلو العباب ؛ ومنه صمم مِدفعا
واحتال للعلياء من أبوابه   وعن التناحر ؛ والتطاحن أقلعا
إنَّا لفي زمنٍ مسامع أهله   لِسوى الحديد وقصفه أن يُسمعا

**   **

يا عيد قد أتحفتنا بهديةٍ   كادت لها الأضلاعُ أن تتصدعا
الناس تهدي الطيبات ؛ وأنت   عن إهداء ما أهديتَ لن تتورعا
في ذمة التاريخِ تاجٌ قد هوى   وصحيفةٌ طويتْ ؛ وشعبٌ رُوِّعا
إيهِ ابن يوسف لا تُراعَ لغدرهم   إنّا عرفناك الأبي الأروعا

شُلَّتْ يدٌ مَدَّتْ إليك أناملَ   اجتاحت حماك المُمْرَعا
غمزتْ قناتك كي تلين ؛ فَرَاعَهَا   منك الإباء وهابها أن ترجعا
إنَّ السيادةَ ؛ أن تعيشَ بعزَّةٍ   أو أنْ تموتَ مكرماً لن تفظعا
ورأتَ فرنسا بأسنا ومضاءنا   من قبل أن تسعى إليك وتخلعا
لكننا ليستَ لنا من حيلةٍ   إلاَّ الدموع !! وقد ذرفنا الأدمعا

*** ***

للشرق يومٌ سوف يسفرُ صبْحُه   فيعيد سؤدده الذي قد ضيعا

3

مريم .. قصيدة اجتماعية أخرى للشاعر الليبي المخضرم حسن السوسي ؛ تعبر عن قصة واقعية .. وسوف نرفق القصيدة بخط المؤلف

مريم

كنتُ في الدارِ عندما   رَنَّ صَوْتٌ .. ودَمْدَمَا
وإذا ضجَّةٌ علَتْ   وسمعنا ترَنُّما ..
وزغاريدَ طَبَّقَتْ   مَسْمَعَ الأرضِ والسما ..
قلتُ : عُرْسٌ ، فقال لي   بعضُ من كان .. رُبَّما
قلتُ : في أيٍّ وِجْهَةٍ   قال : في بيتِ " أكرما "
قلتُ : مَنْ عنده فقا   ل الذي قال .. مُرْغما..
بِنْتُهُ تُجْتَلَى غداً   زوجةً لابن " أسلَما "
وصمَتْنَا .. ولم يَعُدْ   أيُّنا قد تكلما ..
وإذا طارقٌ أتى   ثم حَيَّ .. وسلَّما
ودعانا " لحفلةِ " العُرْسِ   في دار .. " أكرما "

*   *

فرأينا صبيةً   أُوْتِيتْ صورةَ الدُّمى
خَصَّها اللهُ بالجمالِ   وأرْبَى .. تكرُّما
اخذتْ فوقَ حظِّها   منه في يوم قُسِّما
فقواماً مُهفْهَفَاً   جَلَّ مَنْ كان قَوَّما
وأَسيْلَيْنِ ورِّدًا   كلهيبٍ .. تَضَرَّما

كلَّ عضوِ عليه قَدْ   وَضَعَ الحُسْنُ مِيسَما
قد دُعينا ولم نصب   مِن جَنَى العُرْسِ مَطْعَما
وشُغِلْنَا عن الطعام   بمن كان " أطْعَما "
وشربنا .. وإنما الشرُ   بُ .. قد زادنا ظَما
فغبطنا عريْسَها   بل حسدناهُ .. ربما
وطربنا .. وكلُّنا   باتَ فيها متيَّما
كلُّنا قال صادقاً   ليتني صِهْرُ " أكرما "

* *

بعدها دَقَّت الطبولُ   وساروا " بمريما "
واختلى عِرْسُها بها   حيث ظنَّ التَنَعُّما
ثم مِنْ بعد برهةٍ   عاد عنها .. وأحجما

* *

كنتُ في الدار عندما   صيْحَةٌ شَقَّتْ السَّما
ودَوِيٌّ مُزلْزِلٌ   مثلُه الرَّعْدُ عِنْدَما ..
وصِيَاحٌ وضَجَّةٌ   توقِظُ الناسَ نُوَّما
قلتُ ماذا ؟ فقيل لي   قُلِبَ العُرْسُ مأْتما
مريمُ " فَرَّطَتْ " ولم   تُشْبِه اليومَ " مريما "
وَصمَتْ عِرضَها وقد   غُسِلَ العِرْضُ بالدَّما

مريم

كنت فى الدّار عِنْدَمَا
رَنَّ صوتٌ ـ ودَمْدَمَا

وإذا ضجّةٌ عَلَتْ
وسَمِعْنَا تَرَنُّمَا ـ

وزغاريدَ طَبَّقَتْ
مَسْمَعَ الأرضِ والسَّمَا ..

قلت: عُرْسٌ فقال لى
بعضُهم كان ـ رُبَّمَا

قلت: فى أيِّ وِجْهَةٍ
قال: فى بَيْتِ (أكرما)

قلت: مَن عِنْدَهُ فتًى
ل ـ الذى قال .. مُرْغَمَا ..

بِنْتُهُ تُجْتَلَى غدًا
زوجةً لابنِ (أَسْلَمَا)

وصَمَتْنَا .. ولم ~~يكن~~ يَعُدْ
أيُّنا ـ قد تَكَلَّمَا ـ

وإذا طارقٌ أتَى
ثم حَيَّا ـ وسَلَّمَا

ودعانا لحفلةِ (العُرْس)
فى دارِ ـ (أكْرَمَا)

فرأينا صبيّةً
~~جلّ~~ أوتيتْ صورةَ الدُّمى
خصّها اللهُ بالجمال
وأزيا ـ تكرُّما
أخذتْ فوقَ حظّها
منه في يومِ قُسّما
فصّوا ما مُهَضّهَا
جلَّ من كان قوّما ـ
وأسيلينِ ورُّدا
كلهيبٍ ـ تَضَرَّما
كلَّ عضوٍ عليه ~~من~~ قدْ
وضعَ الحُسْنُ مِيسَما
قد دُعينا ولم نصب
من جنى العُرْسِ مَطْعَما
وشُغِلْنَا عن الطّعامِ
بمن كان (أُطْعِمَا)
وشربنا ـ وإنّما الشر
ب ـ قد زادنا ظما
فغبطنا عريسكم
بل حسدناهُ ـ ربّما

وطربنا .. وكلّنا
باتَ فيه متيّما

كلُّنا قال صادقًا
ليتني صِهْرُ (أكرما)

بعدها دقّت الطبول
وساروا (بحريما)

واحْتَفَلَ عِرْسُهُم
حيث ظنّ التنعّما --

ثم من بعد لحظةٍ
عادَ عزلٌ .. وأحجما

كنت في الدّار عندما
صيحةٌ شقّت السّما

ودويٌّ مُزَلْزِلٌ
مثلهُ الرّعْدُ عِنْدَمَا --

وصِيَاحٌ وضجّةٌ
تُوقظ الناس نُوَّمَا

قلت ماذا ؟ فقيلَ لي
قُلِبَ العرسُ مأْتما

مريم (فرّطتْ) ولم
تَنْتَبِه اليوم (مَرْيَمَا)
وَصَمَتْ عِرضي وقد
غُسِلَ العِرضُ بالدما

4

في يوم الاستقلال الليبي

نشرت القصيدة في مجلة السراج ليبية حينما كان الشاعر يعمل معلماً للمواد العربية في مدرسة الأبيار عام 1952م ؛ وهو يحي الشعب الليبي بالنصر وباستقلال التراب الليبي عن المحتل الإيطالي ؛ وتولي الملك إدريس السنوسي الحكم في ليبيا.

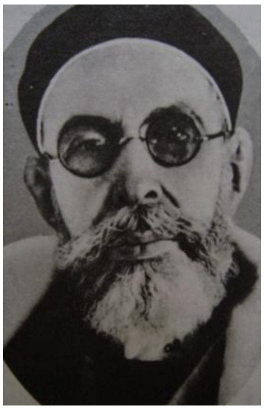

الملك إدريس السنوسي

سرى مسرى النسائمِ أي جرْسِ		وكان له صدىً في كلِ نفسِ
سرى كاللحن في نغمٍ طروبٍ		فأرقص كلَّ جارحة وحسِ
فظلّ القومُ من فرحٍ نشاوَى		بخمرِ سعادةٍ لا خمرِ كأسِ
فأنّى تتجهْ تلقَ احتفالاً		كأنّ القومَ في أيامِ عرسِ
**		**
كأنّ الأرضَ شاركت الأناسي		بما هُم فيه من فرحٍ وأُنسِ
بَدت في نظرةٍ ؛ وصفاءِ وجهٍ		؛ ورونقِ منظرٍ ؛ وبهاءِ لِبْسِ

وماسَتْ كالخريدةِ حين تُجلَى		نقيّةَ مِئزرٍ ؛ طهراً لعرسِ
**		**
أجل قد عمّ ذا القطرِ ابتهاجٌ		بمولدِ دولةٍ وطلوعِ شمسِ
فيا لَكَ من دُجَى ليلٍ بهيمٍ		تبلّج بحرُه من بعدِ يأسِ
ويا لك من ضحى يومٍ بهيجٍ		يُطِبُّ جراحةَ الماضي ويؤسي
**		**
رمتنا من سنا الدهرِ شُهْبٌ		أحالت كلّ مُورقةٍ بِيُبْسِ
ثلاثون انقضت من بعد خَمْسٍ		عجافٍ قد مضت من بعد خمس
أذاقتنا صروفُ الدهر صرفاً		وعاطتنا الهمومَ بكلِّ كأس
فمن قتلٍ ؛ وتشريدٍ ؛ ونفْيٍ		إلى ظلم ؛ وإذلالٍ ؛ وحبسِ
سُلبنا كلّ ما ملكت يدانا		؛ سوى هِممٍ لنا ؛ ومضاءِ بأسِ
وقد شهِد الجميعُ لنا بأنّا		إذا نادى المنادي غيرُ قُعسِ
**		**
حياةُ العزِّ لا تُعطَى اجتداءً		ولا تَشرى إذا بيعت ببخسِ
شريْناها بشبانٍ كرامٍ		وأشياخٍ كأُسْدِ الغابِ حُمسِ
بكلِّ فتىً كان له انتساباً		لحاتمِ طيْءِ ؛ ولفحْلِ عبسِ
إذا قيل النّوالُ فبحرُ جُودٍ		وإن قيل النِّزالُ فليثُ حِلْسِ
أولئك قدّموا ثمناً ليومٍ		شِراهُ ليس بالثمنِ الأخَسِّ
**		**
كذلك كلُّ مَن طلب المعالي		تقلّب بين أفراحٍ وبؤسِ
ودون الوَردِ أغصانٌ وشوْكٌ		تُدمي راحةَ الجاني وتُخسي
ألا أيُّها الملكُ المُفَدَّى		ويا واقٍ لنا مِن كلِّ بأس
برأيك قد بلغنا ما بلغنا		ومن مسْعاك أثمر كلَّ غرْسِ

زمان الراشدين أعدْه فينا		ودولةَ آل عبَّادٍ وشمسِ
فإنك لم تزل للمجد بانٍ		تُشَيِّد كلَّ باذخةٍ وتُرسِي
فَعِشْ والشعبُ في رغدٍ ويُمْنٍ		فعهدك ينسخ الماضي ويُنْسِي

5

بلادي

يتألم الشاعر هنا على بلاده الصغرى (ليبيا) أو على بلاده الكبرى ؛ بلاد الأمة العربية

نعم !! إني أحبكِ يا بلادي   وأمنحك الكثير من الودادِ
تغلغل في دمي حُبيْكِ حتى   لغيركِ ليس شيءٌ في فؤادي
ومن لم يمنح الأوطان حباً   يعيش في الناس أشبه بالجمادي
وليس الودُّ أن نهوى ثراها   ونحجم عن نِدَاها إذْ تنادي
يَعِزُّ عليَّ أن تلقي صغاراً   ويُمشى فوق أرضكِ بالفسادِ
وكان الانتماء إليكِ فخراً   فكاد يكون عاراً يا بلادي
وكم نَشَّأتِ من بطل مُشيحٍ   حماكِ ؛ وردَّ غائلة الأعادي
وكم علمتِ إقداماً جباناً   إذا نادى المنادي للجهادِ
بَنَيْتِ ؛ فجاء بعد القومِ قومٌ   أحالوا ما بنيتِ إلى رمَادِ
وقد عُكستْ بك الأوضاعُ حتى   رأينا الغيَّ يعبثُ بالرشادِ
يسوسُ الناسَ فيك على هواهم   أناسٌ قد تمادوا في الفسادِ
ومِنْ عجبٍ نرى مَنّ كان منَّا   له في قومه بِيْضُ الأيادي
نُنَقِّصُ قَدْره ونُعيبُ فيه   ونَسلقه بألسنةٍ حِدادِ
وما سُواسنا إلا تِجار   على آمالِ أمتنا تنادي
فقد باعوا الضمائر منذ قاموا   على أمر الرعية في المزادِ
أرى التاريخ ضُمّتْ دَفَّتاهُ   إلى ما لا يصيرُ إلى نفاد
سيفضحُ أمرهم يوماً ؛ ويُخزي   فِعالاً لطخوها بالسوادِ

وما استقلالنا إلا كلامٌ   يُقال ؛ وإنه ذَرٌّ الرَّماد
وما دستورنا إلا سطور   على القرطاسِ خُطّتْ بالمدادِ
فبسم الأمةِ اُقترفتْ أمورٌ   تَهَيَّبَ أن يجيء بها الأعادي
وبالقانون نُحكم غير أنَّا   وبالأهواء نجنحُ للمُرادِ
وذَلَّ بأرضنا من كان قبلاً   إذا سِيْم الأذى صعب القِيادِ
وَقُدِّمَ كلُّ رعديدٍ جبانٍ   وأُخِّرَ كلُّ صنديدٍ جواد
ومَنْ لم يحترف مِنَّا نفاقاً   يعيشْ إنْ عاشَ مكسُورَ الفؤادِ
كذاك الحالُ حين يَسُودُ قومٌ   هم الجهلُ المُطَعَّمُ بالفسادِ
نَصحْتُ !! فلم أجدْ أذناً لنصحي!   وكيف يصيخُ مسلوبُ الفؤادِ؟
كأن القومَ قد مرَّتْ عليهم   وحَطَّتْ مِن قواهم ريحُ عادِ
فأجدرُ أن نقول اليوم قولاً   تُبُودِلَ منذ آمادٍ بِعادِ
(لقد أسمعتَ إذ ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادي)

نماذج من شعره بخط يده

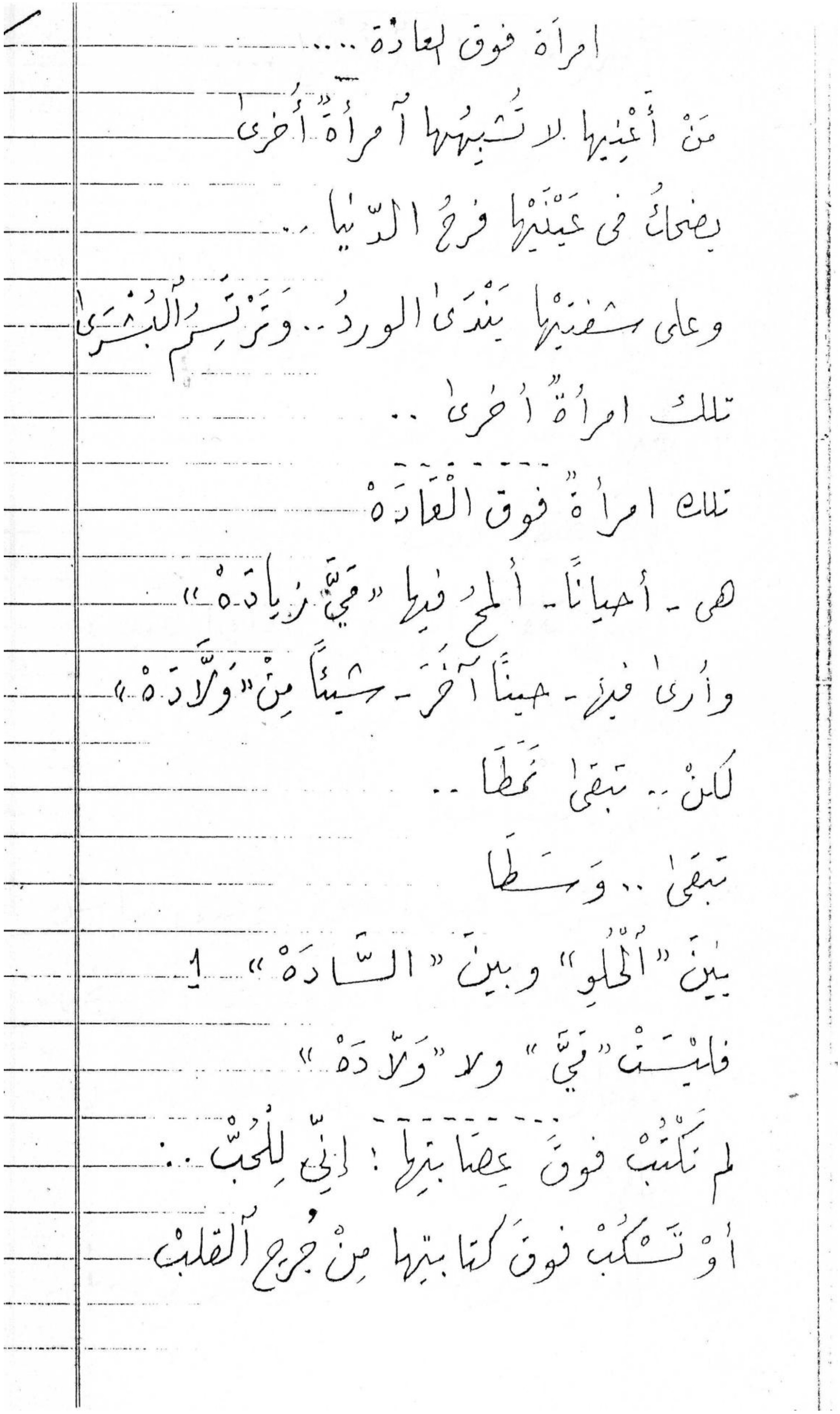

امرأةٌ فوق العادةْ ....

مَنْ أَعْيُنِها لا تُشبِهُها آمرأةٌ أُخرى

يضحكُ في عينَيْها فرحُ الدّنيا ..

وعلى شفتَيْها يَتندّى الوردُ .. وتَرتسِمُ البُشرى

تلك امرأةٌ أُخرى ..

- - - - - - - -

تلك امرأةٌ فوقَ العادةْ

هي - أحيانًا - أُلمحُ فيها «قِمّةَ زيادةْ»

وأُرى فيها - حينًا آخرَ - شيئًا مِنْ «وَلّادةْ»

لكنْ .. تبقى نمطًا ..

تبقى .. وَسَطا

بينَ «الحُلوِ» وبينَ «السّادةْ» !

فليستْ «قِمّةَ» ولا «وَلّادةْ»

- - - - - - - -

لم تكتُبْ فوقَ عِصابتِها: إنّي لِلْحُبّْ ..

أوْ تكتُبْ فوقَ كتابتِها مِنْ جُرحِ القلبْ

أُبصِرُ فيها ـ فوقَ الأُنثى!...
بلداً .. وطَنَا
أُهلاً .. سَكَنَا
فيها مِنْه فِطْرةِ أُمّتِها ... وطِبَاعِ عَشِيرَتِها ..
كِبْرٌ لا يَحْتَمِلُ الزّيفْ
ولا يغتفِرُ الْحَيْفْ
وبِشْرٌ تلقى زائِرَها .. كلقاءِ الضّيْفْ
تأسِرُهُ بمودّتِها أسْرًا
تَغْمُرُهُ ببشاشتِها غَمْرًا
(فيُشرِّفُ) فوقَ العينِ .. وفوقَ الرّأسْ
بِنصاعةِ (بِنغازِي) ، ووَداعةِ (جِرْبَهْ)
ووقار (قُسَنْطِينَةَ) ، وأصالةِ (فاسْ) ..
تلقى زائرَها ..
فإذا ما غيّرَ جِلْدَتَهُ ، أوْ جاوَزَ رُتْبَتَهُ ..

نَظَرَتْ شَزْرًا .
شَمَخَتْ كِبْرًا ..
تلكَ امرأةٌ فوقَ العادَهْ ..
تلكَ امرأةٌ أُخرى
تَشعُرُ - حينَ حضورِكَ - في حضرتِها .. أنَّكَ ضائِعْ
تتلاشَى في ملكوتِ السِّحرِ الرّائِعْ
تُبحِرُ في عُمقِ العينَيْنِ ..
وفي شَفَقِ الخدَّيْنِ
وفي وردِ الشّفتينِ الرّاعشتَيْنْ
ويضيعُ صوابُكَ في لفتاتِ الجِيدِ النّاصِعْ
تتعلّمُ - حينَ تكونُ بحضرتِها - فنَّ الإصغاءْ
تأسِرُكَ اللّفتةُ ، والإيماءةُ ، والإيحاءْ
تتحدّثُ عنْ كلِّ الأشياءْ ..
وتحلّقُ في كلِّ الأجواءْ ..

وتُلامِسُ كلَّ المحظوراتْ
فتُحِسُّ بصدقِ مودّتِها، وبراءةِ أُلفتِها، وبما هوَ آتْ
تتحدّثُ في عفويّةِ أهلِ الصِّدْقْ
وبَساطةِ أهلِ العشْقْ
بعيداً عن تمجيدِ النّفسِ، وحبِّ الذّاتْ
تَقْضي بحوائجِ أهلِ البؤسْ
ومباهجِ أهلِ الأُنْسْ
وصَفاقةِ بعضِ الناسْ
فتشُدُّكَ هاتيكَ النّظراتْ
وتُحِسُّ بدِفْءِ الأنفاسْ
ويروقُكَ منذُ ذاكَ الصَّمْتْ
ويهزُّكَ إيقاعُ النّبَراتْ ..
فتدُقُّ بداخِلِ هيكَلِكَ المُغْلَقِ كلَّ الأجراسْ

- - - - - - -

حِينًا آخَرْ ...
تَنْأَى بِكَ فِى الأُفُقِ المُمْتَدّْ
وَتُرَاوِحُ - وَهِىَ تُحَدِّثُ - بَينَ الجَزْرِ، وَبَينَ المَدّْ
وَتُمَازِجُ بَينَ الهَزْلِ، وَبَينَ الجِدّْ ..
وَتُمَيِّعُ مَدْلُولَ الكَلِمَاتْ

- - - - - -

تَتَبَسَّطُ حَتَّى تَحسَبَ أَنَّكَ مِنهَا أُقرَبَ شَيْ
لَكِنْ - لِمَسَاحَةِ مَا بَينَ البَينَيْنِ حُدُودْ
وَمَسَافَةُ مَا بَينَ البُعْدَينِ تَزِيدْ -
وَبِرَغْمِ تَبَاسُطِهَا - وَتَبَسُّطِهَا -
تَتَوَجَّسُ مِنهَا - أَبَدًا - خِيفَهْ
تَتَوَقَّعُ شَيْئًا مَا ...
لا تَدْرِى مِنْ أَىِّ فِجَاجِ الجَوْفِ يَجِيْ
فَتَظَلُّ تُرَاوِحُ بَينَ الجَمْرِ، وَبَينَ المَا -
تَتَمَزَّقُ بَينَ النَّشْرِ - وَبَينَ الطَّيْ

- - - - - - - - - -

يتخثّرُ نهرُ العطشِ المُرّ
يتطلّسُ ما بينَ الشفتينْ، وبينَ الحلقِ، وبينَ الصّدرْ
وتُحِسُّ كأنّ الأرضَ تميدْ
فتخيّمُ في ليلِ العينينِ السّوداوينِ طويلاً، ثمّ تفرّْ
وَرِثَتْ عن جدّتِها (زينبْ) 2
تلك (النّفراويّهْ)
مَجْدَ العقلِ، وَمَجْدَ القلبْ
وَمَجْدَ الحُسْنِ، وَمَجْدَ الحُبْ
وَرِثَتْ سَمْتَ أميرهْ --
وَرِثَتْ أشياءَ كثيرهْ --
قرطاً، عِقداً، أسوِرَةً، وقِلادَهْ
وَرِثَتْ عِزّاً، فخراً، طِلَّسْماً، (حِرْزا)
(حِرْزاً) يحرسُها مِنْ نظراتِ المفتونينْ
ويجنّبها وخزَ عيونِ المنهومينْ

1

ويُسيّجُ بستانَ الخوخِ الناضجِ فيكِ..
عن أيدي المحرومينْ..
وبسِرٍّ فيه..
يُديمُ عليكِ نعمةَ هذا الوجهِ الناضرْ والحُسْنِ الباهرْ.
تبقى منها (تتأتّى) عنكَ.. و(تنأى) عنكَ.. مِلْءَ الخا
فهي الغائبُ — وهي الحاضرْ
تبقى في أعماقِكَ فيضَ مشاعرْ..
نبعَ سعادةْ.. فهي امرأةٌ فوقَ العادةْ
فتقرّبْ منها — وازدَدْ قربًا.. تزدَدْ بُعدًا
فستبقى أبدًا أنتَ وهيَ..
كتوازي الخطّينِ الممتدّينِ —
لا يلتقيانْ — مهما امتدّا.

حسن السوسي / بنغازي

---

1 - "السادة" في اصطلاح بعض العرب = القهوة بدون سكر
2 - "زينب النفراوية" هي زوجة يوسف بن تاشفين، كانت قبله.. زوجة للأمير أبي بكر بن عمر (أحد أمراء المرابطين)، وقبل أبي بكر كانت زوجة للأمير (لقوط) أمير (أغمات) قبل استيلاء المرابطين عليها وقبل (لقوط) كانت محظيّة للأمير (وطاس) أمير (وريكة) كانت ذات جمال وعقل وذكاء وتدبير، تزوجها ابن تاشفين عن حب متبا

الكاتب

- ولد بالمدينة المنورة ... التاريخ غير مطلوب!!
- ليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- ماجستير في الفقه المقارن من الجامعة الوطنية في اليمن.
- له عدة مؤلفات ؛ منها كتاب (جمهرة أنساب أمهات النبي صلى الله عليه وآله وسلم) طبع عام 1418هجرية ؛ منشور عبر الشبكة . وتحقيق لكتاب (الحيل الشرعية) لأبي حاتم القزويني الشافعي. تحقيق كتاب (الرسالة الوهبية في سنن الصلاة الرباعية) للعلامة حامد المارديني .